المحاضرة 12: علم الآثار قسم من أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية

مقدمة:

ظهرت الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقل عن الأنثروبولوجيا العامَة في النصف الثاني من القرن 19 ويعود الفضل في ذلك لإدوارد تايلور الذي قدَم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 ومرت بعدة مراحل وتنقسم بدورها إلى أقسام أهمَها علم الآثار.

التعريف بعلم الآثار:

لغة علم الآثار هو ترجمة لكلمة أركيولوجيا اليونانية الأصل التي تتكون من مقطعين: (أركيوس) ومعناها القديم، و(لوجوس) ومعناها العلم، ومن هنا فإَن الأركيولوجيا هي العلم الذي يدرس المخلفات القديمة.

اصطلاحا: هو ذلك الفرع من المعرفة الذي يدرس المخلفات المادية للإنسان قبل اكتشاف الكتابة مثل الأواني الفخارية والأسلحة والأدوات الحجرية والعظمية والنقوش والرسوم على المغارات والهياكل العظمية بحيث يستدل منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، ويبحث هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية خاصة المنقرضة منها.

نشأة علم الآثار: يعتبر الملك البابلي (نابونيد) الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد أول من اهتم بجمع التحف والآثار القديمة، ويعتبر الشاعر الإغريقي (هوميروس) المؤسس الحقيقي لعلم الآثار وأوَل من وصف في أشعاره المعالم الأثرية لليونان القديمة، ويأتي بعده المؤرخ (تيوسيديد) الذي قدم وصفا دقيقا لتاريخ الإغريق حيث وصف في كتاباته المدن اليونانية القديمة وهندسة البناء فيها وشكل الملابس وتطريزها لدى سكانها وغير ذلك من الأمور التي شاهدها.

وتعتبر كتابات (سترابون) في 64 ق م إحدى الخطوات الهامَة لوجود علم الآثار الوصفي حيث قدَم في كتابه (الجغرافيا) وصفا كاملا لتاريخ وجغرافية واقتصاد البلدان التي تقع في نطاق الامبراطورية الرومانية.

وفي أوج ازدهار الحضارة الإسلامية قام العديد من العلماء من أمثال (الإدريسي) و(البكري) بالوصف الدقيق للمعالم الأثرية وأطلال المدن القديمة.

تطوَر علم الآثار: مرَ علم الآثار بمراحل عديدة أهمها:

ـ مرحلة الوصف: في البداية كان الرحالة والمؤرخون والجغرافيون خاصة الإغريق منهم والرومان يصفون المعالم الأثرية والمدن القديمة وأطلالها التي أعجبوا بها أثناء رحلاتهم وترحالهم في مؤلفاتهم.

ـ مرحلة الجمع والاستخراج: بدأ الاهتمام بعلم الآثار مع بداية القرن 14 ولكن بدون الاعتماد على منهج علمي واضح (أي أنَه كان هناك أثريون ولم يكن هناك علم الآثار) وفي إيطاليا تمَ لأول مرَة اقتناء مجموعات فنية قديمة والتي صارت فيما بعد النواة الأولى للمتاحف.

ـ مرحلة التوثيق العلمي: مع بداية القرن 18 بدأ البحث العلمي عن الآثار باستخراج التحف والتماثيل من المعابد والقصور والقبور القديمة، واستخدمت في ذلك منهجية معيَنة مثل تحديد الموقع الأثري ثم مسحه ثم الحفر والتنقيب ثم دراسة المكتشفات وتحليلها من أجل تصنيفها والتأريخ لها، كما استخدمت تقنيات جديدة حيث تمَ التأريخ للبقايا النباتية والحيوانية والإنسانية باستعمال الكربون 14 لمعرفة عمر المادَة الأثرية وباستعمال حساب حلقات الأشجار والأشعة الصينية (الأشعة X) وتقنيات الموجات الصوتية.

أهداف علم الآثار:

ـ استكشاف الجوانب المادية وغير المادية للحضارة الإنسانية.

ـ الكشف عن مواقع الاستيطان القديمة.

ـ دراسة مراحل نمو الثقافات وعوامل تطورها.

ـ معرفة ماضي الإنسان من خلال مخلفاته الأثرية.

ـ تزويد العلوم الأخرى بالمعارف والمعلومات حول الحياة في الماضي.

ـ مساعدة الباحثين على تفهَم العمليات المتَصلة بنمو الثقافات أو الحضارات وازدهارها أو انهيارها وإدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيَرات.

العلاقة بين علم الآثار والأنثروبولوجيا:

العلاقة بين التخصَصين وطيدة فأغلب الباحثين اتَفقوا على أنَ علم الآثار هو قسم من أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية فهو يدرس مظاهر السلوك البشري في المجتمعات خاصة البدائية منها ويدرس التغيَرات الثقافية في محاولة منه لبناء تصوَر واضح وكامل عن الحياة الاجتماعية في مجتمعات ما قبل التاريخ ، كما أنَ بعضهم الآخر يرى أنَ علم الآثار يساعد الأنثروبولوجيا الطبيعية بتقديم دراسات حول فيزيولوجية الإنسان القديم على اعتبار أنَه يهتم بدراسة الأعراق البشرية من الناحية الطبيعية عن طريق دراسة الهياكل العظمية كما يدرس السلالات البشرية ويقف على خصائصها ومميزاتها، ويتعاون علماء الآثار مع المتخصَصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية وذلك لكثرة وجود اللقى الإنسانية والبقايا الثقافية في الحفريات.

خاتمة:

يستخدم علماء الأنثروبولوجيا بقايا المواد الموجودة في الحفريات كمعطيات رئيسية لاستخدام المعرفة العلمية ويعتمدون في ذلك على علماء الآثار الذين يقومون بتحليل النماذج الثقافية والتطورات التي طرأت عليها باستخدام مناهج دقيقة لفحص البقايا التي خلَفها الإنسان القديم والتي تمثَل طبيعة ثقافته وعناصرها.